مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 3 السنة: 2022
ص: 107 - 124 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الاتجاه الوطني للشعر الشعبي في الجنوب الغربي الجزائري: الشاعر عبدالله البرمكي أنموذجا

National direction of popular poetry in the southern west of Algeria.The poet Abdullah Al-bermki as a model

دحان العيد[1] * / كنتاوي نورالدين[2]

Dahane Elaid[1] / Kantaoui Noureddine[2]

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

جامعة تامنغست-الجزائر

Univercity of Tamenghasset- Algeria

Dahane89@gmail.com[1] / kntawynwraldyn@gmail.com [2]

تاريخ الإرسال: 2022/02/25	تاريخ القبول: 2022/05/04	تاريخ النشر: 2022/09/02

ملخص البحث

يتناول البحث موضوع الاتجاه الوطني الذي انتهجه الشعراء الشعبيون في منطقة الجنوب الغربي الجزائري، ومواكبتهم لأحداث المقاومة الشعبية والثورة التحريرية ضد المحتل الفرنسي؛ وكيف ساهمت نصوصهم المتقدة بحب الوطن والغيرة على أبنائه، في دفع الساكنة إلى مؤازرة "المجاهدين"، وتصوير الحال المعاش وقتئذ. وقد استعرضنا بعض النماذج من نصوص الشاعر عبدالله البرمكي كأنموذج للموضوع، لكونه-البرمكي- أكثر الشعراء إبداعا في الاتجاه الوطني في مختلف محطات تاريخ الجزائر، من المقاومة الشعبية وصولا إلى الأزمة الوطنية. منتهجين المنهج الوظيفي التاريخي في سرد الموضوع. وقد أصل الشاعر مفهوم الوطنية كمنهج حياة للإنسان. فكيف تجسدت النزعة الوطنية للشعراء الشعبيين في إبداعاتهم عموما؟ وشعر عبدالله البرمكي خصوصا؟

الكلمات المفتاح : إتجاه وطني. شعر شعبي . تديكلت. إحتلال

Abstract :

The research deal with the national trend adopted by popular poets in the regions of southwestern Algeria. And keep up with the events of popular resistance and the liberation revolution against the French occupier. How their buring texts of love for the homeland and jealousy for its children helped the population to stand

* دحان العيد - Dahane89@gmail.com

by " mujahideen", as it depicted the current situation at the time. We reviewed some of the examples of the poet Abdullah al-Barmaki's texts as a model of the subject. Being the most informed poet of the national trend in various stations of Algeria's modern history, from popular resistance to the national crisis. The historical career approach to the narrative of the subject. The poet has established the concept of patriotism as a way of life for man. How were national convictions manifested in southern folk poetry in general, and the Barmaki poet in particular?

Keywords: : [National trend. folk poetry. Tidiklet. occupation].

مقدمة:

يعد تاريخ الجزائر الحديث مادة فسحت المجال واسعا للشعر الشعبي الجزائري وصفا وتأريخا. خاصة ما تعلق بالمقاومة الشعبية وثورة التحرير. فانبرى الشعراء موقعين إبداعاتهم وقصائدهم الوطنية التي حملت جانبا واسعا من مسيرة الكفاح والنضال. إلى جانب حمولتها الثقافية والفكرية الدالة على النضج الأدبي والسياسي الذي بلغه فهم الشاعر الشعبي الجزائري وقتئذ. كذلك كان دأب شعراء الجنوب الغربي الذين لم يتخلفوا عن دعم المقاومة والثورة الجزائرية حتى بعد الاستقلال، فرافقوا مسيرة البناء كما ثبتوا مع مسيرة الكفاح.

وقد اخترنا في هذه الدراسة الشاعر عبدالله البرمكي من منطقة تيديكلت؛ كونه أكثر الشعراء إبداعا وإثباتا في مجال الوطنيات. ليس لكونه الوحيد، فالشعراء أترابه وشيوخه كثر. إلا أنه يعد من الشعراء الذين أخرجوا دواوين شعرية للساحة الثقافية. إضافة إلى امتلاكه لغة شعرية شعبية شعبوية تكاد تفهم في جميع أقطار الجزائر.

كما أننا طرقنا الموضوع من الجانب الموضوعاتي لا الفني، كونه أكثر إبرازا للمواقف الوطنية التي انمازت بها ثقافة الشاعر وفكره.

وقد التزمنا في دراستنا المنهجين الوظيفي والتاريخي، لإبراز أهمية وظيفة الرسالة الاجتماعية التي تنتجها النصوص الشعرية الوطنية، فلا تكاد تحتفي بالفن والخيال بقدر إثباتها للحقائق التاريخية والمواقف الإنسانية التي تقوم عليها.

محاولين من خلالها إبراز أهم النصوص الشعرية الشعبية الوطنية في الجنوب الغربي الجزائري ، وكيف تجلى الوعي الوطني والفكري والسياسي للشاعر الشعبي الجنوبي عموما، والشاعر عبدالله البرمكي خصوصا.

أولا: تعريف الشعر الشعبي:

إن المستقصي لاصطلاحات العنوان يستشرف الحمولة المعنوية له. فاقتران لفظ"شعبي" بالشعر، يجعلك تدرك أن له علاقة بأوساط الشعوب البسيطة التي لا تحكمها رسميات أو قوانين جابرة، بما في ذلك اللغة. فتعريف الشعر الشعبي ينبع من مدى مفهوم العامة للأدب الذي تنتجه شعرا. وقد عرفه الكثير من المختصين، إلا أننا سنركز على تعريفين نظن أنهما يحيطان بالموضوع وهما كالآتي:

يعرفه المرزوقي بأنه:" كل شعر منظوم بالعامية سواء معروف المؤلف او مجهوله، وسواء دخل في حياة الشعب أو ...كان من شعر الخواص..."[1].

ويعرفه الركيبي بقوله:"لما كان الشعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة، فإن الفرق بينه وبينها هو الإعراب."[2]

فتعريف المرزوقي أصل لطبيعة اللغة العامية التي ينطق بها الشعر الشعبي ، وهي اللهجة المتحدث بها في المجتمع، والتي لا تخضع لقوانين، وتختلط فيها الألفاظ بين فصيح وسوقي وعربي وأعجمي. كما أنه نوه لخصيصة هذا الشعر المستمدة من طبيعة الأدب الشعبي عامة وهي مجهولية المؤلف؛ وكونه مروي شفاهة، يمكن أن يضيع اسم قائله وبذلك يدخل ضمن الملكية الجمعية للمجتمع. كما أنه أقر بعدم ارتباطه عادة بالحياة العامة للمجتمع المنتج فيه، فيمكن أن يكون ذا طابع خاص بالتجارب الشخصية .

أما الركيبي فقد أسماه بـ'الملحون'، لأنه-حسب تعبيره- لا يخضع لمبادئ الفصاحة والإعراب، دون أن يعزله عن الشعر الفصيح من حيث الموضوعات والأغراض.

فنرى أن التعريفين اتفقا على نوع اللغة المنطوق بها، والجانب الوظيفي للشعر الشعبي. واختلفا في التسمية بين" عامي" و"ملحون".ومن خلالهما نعرف الشعر الشعبي على أنه: ذلك الأثر الأدبي المنطوق باللغة الدارجة أو العامية، المروي شفاهة ،المعلوم المؤلف أو مجهولة، وهو ذو صلة بالشعر الفصيح من حيث المنشأ والموضوعات والأغراض.

ثانيا: الاتجاه الوطني عند شعراء الجنوب الغربي الشعبيين:

1- تعريف الاتجاه الوطني في الشعر :

هو الشعر الذي ينظم في الوطن والتغني بأمجاده[3]، ويحمل النزعة التحررية ضد الاستعمار. وهو ضرب من ضروب غرض الشعر السياسي. وقد تمثل به الشعراء الشعبيين في عصر العثمانيين أين رافعوا ضد الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية، إلى جانب رفضهم لبعض السياسات المنتهجة من قبل باشاوات و أغاوات الحكم العثماني آنذاك، وإبان الاحتلال الفرنسي؛ ليرفعوا به صوت الحرية ضد البطش.

2- منطقة الجنوب الغربي:

هو الربع الجنوبي الغربي للجزائر، يضم كل من ولايات: بشار، وتندوف، وبني عباس، وتيميمون، وأدرار، وعين صالح، وبرج باجي مختار. يحده من الشمال ولايات النعامة وغرداية والبيض؛ ومن الجنوب دولتي مالي والنيجر؛ ومن الشرق ولاية تمنراست؛ ومن الغرب دول المغرب والصحراء الغربية وموريتانيا. ويضم تاريخيا أقاليم الساورة وتندوف وتوات وتيدكلت وتانزروفت. ويمتاز بجغرافيا مسطحة قليلة الجبال، بها كثبان العرق الغربي الكبير والصغير، وعرق شاش. جوها حار صيفا وبارد شتاءا. أما ساكنتها فهم مزيج بين عرب بني حسان وكنته والانصار والرقيبات، وزناتة، وتوارق أركناتن وإيموهاق وإيفوغاس، وفلان الصحراء الكبرى. حياتهم بسيطة متصلة بالبداوة ونوافلها، ولغتهم مزيج بين العربية والزناتية والتارقية وهوسا البامبارة، حتى غدت بمرور الزمن لهجة صحراوية متعددة المشارب.

3- الكفاح الشعري الشعبي في الجنوب الغربي:

تعد ثورة "الشيخ بوعمامة" فاتحة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري؛ وربما عمت جميع ربوع هذا القطر، لما كان للشيخ من حظوة دينية ومعنوية فيه. إضافة إلى زياراته المتواليه لمناحيها مثل الابيض سيد الشيخ في البيض، وبني ونيف في بشار، ودلدول في توات. ويعد شاعره سيدي "محمد بلخير"[4](1835-1905م) من أشهر شعراء المنطقة. وقد مثل رمز الكفاح فيها، حتى بعد وفاة "الشيخ بوعمامة". ومن أهم أشعاره في الوطنية قوله:

مَقْواني نَبْكي الاجْراحْ مْهَوْلينْ بي فَرْقَةْ وطْني وْعَزْ الاوطانْ
رانا ضَرْوَكْ راسْ النْجوعْ مَتْنَزْهينْ ما قَعْدو فالذَّلْ الا اصْحابْ بورانْ
اللي يَبْغي الجنة يْضادْ الكافْرينْ واللي بَغى الهْنا بْغى التَّمْزانْ.5

إن الغزو الفرنسي لتيديكلت كان له دور حاسم في كسب معركة توات واحتلالها كليا عامي 1900-1901م. ذلك أن معارك الدغامشة وإينغر لم تكن محلية بقدر ما كانت تواتية لما شارك فيها

من أهالي توات، والحركة التضامنية الواسعة التي جابت المنطقة قاطبة بأقطابها الثلاث، تيديكلت وتوات وقورارة.

واكب حركة الدفاع والمقاومة، أقلام الشعراء وقرائحهم التي جادت بالفصيح والشعبي دفاعا عن الوطن والعرض والدين. أهمهم في الفصيح الشيخ "عبد الرحمن السكوتي"6.

أما شعراء الشعبي فأشهرهم الشاعر "عبدالنبي بوتقي حماض"[7]، الذي وصف معركة إينغر وصفا دقيقا في قصيدة مطلعها:

ضاقَتْ روحي وْخاطْري داخلْ مِنْ العمْلة صاحبْ الغْدَرْ والمْظونا
تْزايَرْ غيرْ المَكْتوبة والمْقدْرة فيها لزْمانْ لابَدْ نْصَرْفوهْ لْشي داركْنا8

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن "القايد إدريس بن الشرادي الكوري"9 الذي جمع أهالي توات للمقاومة في إينغر فيقول:

نَعْطيكُمْ قَصَّةْ الغْريبة والدمْعَة طالْعَة تْدَرْدَرْ ماهي بَهْتاني هاذْ الباشا اللي مْغَرَّبْ خبرو بكاني
هاذْ الباشا اللي مْغَرَّبْ ومعاه اخْرينْ كيفْ نَعْمَلْ قولو مَقْواني اسْبابو شارْبينْ الخْمَرْ اخْبَرْهُمْ تالي10.

ولما قامت ثورة نوفمبر كان الوعي الوطني قد نضج واتقد في أذهان أهالي المنطقة، ذلك أنهم واكبوا الحركة الوطنية وأسسوا العديد من الفروع للإحزاب الوطنية بداية من عام 1950م. ويعد الشاعر الحاج سعيدان التومي[11] أهم شخصية محلية جمعت بين الشعر والكفاح السياسي والعسكري في عين صالح، وقد ترك ديوانا شعريا مزج فيه بين الفصيح والشعبي، فيقول في أحد قصائده:

فاليَقْظَة انا ريتْ حُرْ ويَتْبَخْتَرْ حَقَّقْ حلْمي ياكريم عَنَّكْ مَتْوكلْ
كَلَّمْني سْعيدانْ نوضْ عَزَّتْنا تَظْهَرْ مَزْغَنَّة نادَتْ شَعْبْها كونْ مْعَوَّلْ.12

نجد أيضا الشاعر الوليد بن وليد[13] (1923-2004م) يصف معركة حاسي صاكة بقورارة فيقول:

حاسي صاكَة الجيشْ قَلْتوه14 الكُفّارْ بيه اهْرَبْ منْ غْدوه في مْنَعْتو15

فاعتقاد الشاعر بن وليد أو الشاعر الجنوبي عموما بوجوب الدفاع عن الوطن، نابع من جانب ديني ووطني خالص؛ ونرى ذلك في لفظ" الكفار" بدل فرنسا. ذلك أن الثورة كان قد مهد لها المصلحون والأئمة قبل أن ينادي بها الوطنيون، وضمير المسلم قبل ذلك. وإلى جانب من سبق ذكره، توالى الكثير من الشعراء صادحين بكلمة الحق وداعمين للثورة؛ أمثال مولاي عبو الشيخ[16] من الهبلة وولد سيدي حرو[17] من مقرة18، وسي حميدة[19] من عين بلبال وبحوص الزاوي[20] ومحمد الفرح[21] من أولف22، وغيرهم الكثير مما لا يسع ذكره في هذا المحل.

أما في واد الساورة، فلم يتأخر شعراؤها عن ركب الثورة والجهاد؛ خاصة وأن شعراء ذوي منيع والغنائمة واولاد جرير والرقيبات، يعدون من رواة الشعر الشعبي؛ لغلبة الطابع البدوي الرعوي على حياتهم، مما جعل خصيصة قول الشعر وروايته عندهم لا تنقطع ولا تقل.

يرفع الشاعر منقارة رابح(1915-1997م) وهو شاعر من العبادلة في بشار، أكف الضراعة لله عز وجل أن ينصر الثوار في قوله:

سَلَّمْ الشجعانْ يا عْظيمْ الشّانْ دَخْلو للجْهادْ الاكْبَرْ

عْدو نْبينا لاقيتْهُمْ غُفْرانْ دارو فينا عيبْ ياسرْ23

وتبدو الثقافة الدينية للشاعر جلية من خلال اصطلاح "الجهاد الاكبر"، وهو اصطلاح مقتبس من الحديث. أيضا اصطلاح"عدو نبينا"، الذي يرمز من خلاله إلى أن فرنسا هي عدوة الدعوة المحمدية قبل أن تكون عدوة للجزائر؛ وهذا نابع من ثقافة أهل المنطقة المعتقدة أن حرمة الوطن من حرمة الدين.

ويجدد هذا النهج الشاعر كرومي أحمد[24](1918-....) من خلال قصيدة ثورية يقول في مطلعها:

مَنْ الربْعة وْخَمْسينْ فالعْدو كَرْكَرْنا العْمارةْ وْطَلْعَتْ الاولادْ بْلا سْلاحْ شَدّو ليها لَكْفانْ

وعاونْهُمْ ياربي وزيدْهُمْ فالهَمَّة والشانْ25

أما في منطقة تندوف، فمنذ احتلالها عام 1934م وساكنتها لم تدع وسيلة من وسائل المقاومة إلا واستغلتها؛ بداية من مناوشات الشعانبة والرقيبات، وصولا إلى الانخراط في الأحزاب الوطنية، وختاما بالانضواء تحت مظلة ج[26]بهة التحرير الوطني. وصدحت آناء ذلك حناجر الشعراء وأقلامهم فخرا بالثوار وهجوا للمحتل. ومن أهم شعراء المنطقة: - الميلود الجكني[27]، محمد الصالح صلحاوي[28]، مختار مخيطير[29]، سعيد محمد الأمين[30]، علي فوشيل31 وغيرهم.

أرخ الشاعر "علي فوشيل"[32] لمعركة "مركالة" 1956م في قصيدة شعبية باللهجة الحسانية يقول في مطلعها:

هَجْمَةْ مَرْكالةْ ما تْفادْ هَجْمَتْها حَرْبْ بحالةْ

هَجْمَة مَرْكالة وَتَمْ زادْ أُمْ الَعْشارْ مْعَ مَرْكالة[33]

إن الناظر لهاته النماذج الشعرية يجد نوعا من التقارب في الفكر والفهم والاعتقاد النابع من اللحمة الوطنية التي امتاز بها الشعب الجزائري. أما الجانب الفني فيتقارب لفظا ومعنا، ويتعدد في الموازين والارياح الشعرية على حسب التقاليد الإبداعية لكل منطقة، توات والساورة وتندوف.

ثالثا:الإتجاه الوطني في شعر عبدالله البرمكي:

1- الشاعر عبدالله البرمكي:

من مواليد 1968م بأولف. تناول الشعر منذ صغره مقتفيا إيداع مشاهير الشعراء أمثال الشلالي ومحمد بلخير وبن طريبة. أول ما أبدع بالفصحى غير أنه ما فتئ أن تحول إلى الشعر الشعبي لينطلق لسانه مشاركا في شتى الأغراض والموضوعات.34 له ديوانين شعريين شعبيين مطبوعين هما:" صور من الواقع" و " القول المضنون".

2- الوطنية في مفهوم الشاعر البرمكي:

من عادة الشعراء أن يستهلوا مسيرتهم الإبداعية بالتغني بالوطن ومشاعر الانتماء في مختلف مستوياته، دينيا كان أم وطنيا أم قوميا. كونه موضوعا يفيض بالمشاعر الجياشة، وهو أقرب للصدق بالنسبة للشاعر وأقرب للمصداقية الاجتماعية. فلا يكاد الشاعر يجد عناءً في وصف شعوره وما يحز في نفسه من نفحات وخواطر كونها ملكا جماعيا، وأسرع للفطرة منها للإدراك والتلقين. وبالرغم من ألفاظه المبتذلة-الشعر الوطني-، إلا أن له سمعا وقورا واحتراما لا يكاد السامع يعير اهتماما للغة والبيان والميزان، بقدر ما يهتم للصور والمشاعر وجرأة الشاعر ومواقفه. كما أن صور الوطنية المتعددة تجعل منها موضوعا شاسع الأركان لا يستطيع المبدع حصره مهما طالت قصائده.

الوطنية عند الشاعر البرمكي لا تتحدد بوقت معين، فهي مسار حياة الإنسان منذ ولادته وحتى مماته. فالشاعر يعتد بالوطنية نسبا بعد عائلته التي يحمل اسمها إذ يقول:

بَرْمَكي وْعَشتْ وَطْني فالدَّمْ وفي قَلْبي حُبْ الوْطَنْ وكابَرْ بيهْ
ماللي كُنتْ صْبيْ فْحَجرْ مّا نَلْتَمْ نَرْضَعْ لَبنْ امّا والوَطنْ مْحَلِّيهْ35

فيجعل من الوطن سكرا لحليب أمه. فهو متغذ بالوطنية وحب الانتماء منذ يومه الأول في الحياة، حتى وإن كان غير مدرك لتلك المشاعر التي سيفهمها يوما ما؛ سترافقه في عقله وعظامه ودمه ولا شعوره. كما أن لفظ " الوطن" الذي نرى أن الشاعر كرره ثلاث مرات في بيتين فقط، دلالة على تلك الحرقة والمشاعر الجياشة الصادقة إزاء وطنه وقضاياه.

الوطنية عند الشاعر هي مشاعر الأمومة والاحتواء والأمان الذي يشعر به كل جزائري إزاء الوطن، فيقول الشاعر:

هي أمْ الكُلْ وهي أمْ الأمْ وهي نبضْ القلبْ وللحبْ تْحَيِيهْ36

وإنما اتجاه الشاعر لشخصية "الأم"، كونها الشخص المجمع عليه؛ فلا قدح ولا اختلاف فيه. وذلك دأب الشعراء إذا اتجهوا لوصف أوطانهم، تكون الأم ذات الحضن الآمن، والأنثى ذات الحنان الموفور هي الشعار.

الوطنية عند الشاعر هي حفظ عهد الشهيد، ومواصلة الكفاح بالبناء بعد كفاح السلاح، فيقول:

رَبيحْ ياشَهيدْ فالجنَّةْ وانْعَمْ هاذْ الوَطنْ شْحالْ مَنْ رَجَّالة فيهْ37

فهو يخاطب الشهيد الذي ضحى بنفسه، كونه صاحب العهد المصان. فلا زال في الوطن رجال يتعهدونه بالبناء، ومستعدين للتضحية من أجل شرفه وأمانه، وليسوا مستعدين للتفريط فيه كما يقول:

ماني مَسْتَعَدْ للبْلادْ نْسَلَّمْ ولاني مَسْتَعَدْ نْخَليها للتيهْ38

الوطنية عند الشاعر هي مبدأ الملكية الجمعية التي لا يدعي فيها فرد أحقيته وأفضليته على الآخرين. فلا العربي ولا الأمازيغي بوسعه أن ينكر أحدهما مشاعر الثاني أو يشكك في وطنيته وإخلاصه كما يقول:

الجَزايرْ يا أرضْ لَعْرَبْ ولَعْجَمْ فالصَّحرا والتَّلْ كانْ الحُبْ اسبابْ39

وإن كان لفظ " لعجم" أعم، ويمكن أن يفهم منه أدعياء حقوق الزور(الأقدام السوداء)شيئا من آمالهم؛ وكان في استطاعته أن يضع لفظ "أمازيغ"أو ما في معناه دون الخلل بالقافية، ليكون القصد أوضح.

كما أنه يقر أن لكل منطقة من مناطق الجزائر الشاسعة، يوجد رجال شأنهم إعلاء كلمتها وصون شرفها والذود عن عرضها كما يقول:

الجزايرْ في كلْ مَضْرَبْ كاينْ قُطبْ الجزايرْ يا بَرْ عَمَّرْتو الاقْطابْ[40]

فيستعير الشاعر اصطلاح " قطب" بمفهومه الصوفي، ليعبر به عن مدى احتفاء الجزائر بالصلحاء على اختلاف مواقعهم، دينيا وعلميا وسياسيا وعسكريا.

الوطنية عند الشاعر هي الذاكرة الحافظة للتاريخ، والتي لا تنساه أو تتناساه بالانشغال أو تبدل الأحوال. فلا تسقط الوطنية بوفرة النعم، أو البعد، أو التقادم.

والشاعر لا يكفيه العهد فقط، بل يعضده باليمين المغلظة إثباتا لذلك إذ يقول:

واللهْ ما نَنْسى الماضي بَالحاضَرْ والماضي تاريخْ مَكْتوبْ مْسَطَّرْ
ماضينا موحالْ يَنْساه الخاطَرْ ماضينا مَحْفوظْ فالراسْ والَحْجَرْ41

فشواهد التاريخ يحفظها الإنسان والطبيعة أيضا.

الوطنية عند الشاعر هي الإحسان بهموم الوطن ومعايشة مشاكله والوقوف معه في أزماته، كما عاشت الجزائر في العشرية السوداء فيقول:

عشر سنين سواد فلحجر وظلمة وجه البيضا دهاش صابغتو لحموم

وجه البيضا حازنة وسط الخيمة أرملة على عزها عشرت لهموم42

فيصف الشاعر البلد وظلمات أوقاته الصعبة، كأنه وجه اصطبغ بآثار الاحتراق"لحموم". ويصوره كأنه أرملة الفت الهم والنكسات. لكن رغم ذلك يأمل الشاعر بحرقة وصدق أن يتغير حال الوطن في قوله:

راجي مولانا ينزل غيت الما يتغسل مزن بلادنا يرجع مقيوم43

الوطنية عند الشاعر حب وغرام لا يزول، فيصور الشاعر الوطن كأنه امرأة فاتنة لا يستطيع أحد مقاومة إغراء عينيها، حتى القلوب الجلفة القاسية، كما يعبر على ذلك في قوله:

عَينيكْ يْهَزو القَلْبْ القاسي يَتْحَنَّنْ وَيْحيكْ طايعْ ليكْ

يَتْودَّدْ بَهْوى غرام نْفاسي وغْرامي مَنْ سَبْتو عَينيكْ44

ويصرح بمحبوبته الوحيدة التي هي الجزائر ، ولا يشرك في حبها أحدا كما يقول:

الجَزايرْ هي حْبيبةْ راسي يا وَطْني ما دَرتْ ليكْ شْريكْ45

الوطنية عند الشاعر أن يبقى دائما العدو عدوا مهما تغيرت الظروف والسياسات. فيرى أن فرنسا ما زالت تكيد للجزائر المكائد، ومازالت الأطماع نفسها هي من تحرك السياسة، ويبقى ذلك الحنين إلى ما كان عليه الحال قبل الاستقلال قائما. فيعبر عن ذلك في قوله:

ذيبة فْرَنْسا وذْيوبة مَنْهُمْ ما نْشوفو غيرْ النيبانْ

علينا فْرَنسا مَكْلوبة فينا ما تْراعي حْقوقْ الإنسانْ46

فيتحدث الشاعر عن التجارب النووية الفرنسية برقان (اليرابيع الثلاث)، وما خلفته من خسائر بشرية وبيئية واقتصادية، وذلك ما قصده في لفظ"حقوق الإنسان". ويصرح بذلك في قوله:

السَّمْ حاطْ في تَجْروبة والناسْ في هْواها قاعْدة تَنْهانْ47

الشاعر البرمكي جمع في قصائده الوطنية فكرة الانتماء والاعتزاز بالأصل والوطن؛ إلى جانب وصف حال الوطن ومسيرة نجاحاته وأزماته، منذ الاحتلال إلى العصر الراهن بعد العشرية السوداء.

فذكر بالانتفاضات الشعبية السابقة، أثناء الاحتلال الفرنسي لمنطقة تيديكلت وتوات عموما في قصيدة" ثورة الدغامشة"، والتي جرت أحداثها في منطقة عين صالح ، فيقول في مطلعها:

قَصَّة سْمَعْتها في سابَقْ الاسْلافْ زَكَبتْ ميزها في بالي48

إلى أن قال واصفا مواجهة مجاهدي المنطقة للجيش الفرنسي عام 1900م :

لَطْرِيقْ عينْ صالحْ دَهْمو تَصْفافْ قَصْدو الدْغامْشة لَبْطالي49

كما يذكر بمعركة العرق الغربي الكبير في قصيدة "معركة العرق الغربي"، والتي يقول فيها:

لْعَرقْ الغَرْبي هانْ لَعْدو تَمْ نْهانْ وَتْمَرْغَدْ بَعْساكرو وَسطْ الصَّحْرا50

فيظهر فيها دور الولاية السادسة الحاسم في معركة التحرير ضد المستعمر الفرنسي.

أيضا يذكر بالتجارب النووية الفرنسية برقان بدأ من عام 1961م في قصيدة" رقان" ، التي بقيت شواهدها حتى اليوم من آثار بيولوجيه وتشوهات لا يسقط وزرها بالتقادم.

هذا من الجانب التاريخي. أما شعوريا وأخلاقيا، فيظهر الشاعر اعتقاده وآراءه المعتقة بالروح الوطنية ونشوة الانتماء. داعيا إلى الحفاظ على الذاكرة الوطنية التي لا تتغير مواقفها مع مسار الزمن، كما أوضح ذلك في قصيدة" نشوة حب".

كما يرى الوطنية أنها هي أم المشاعر والراعي الأول لشخصية الفرد في التنشئة الاجتماعية. إلى جانب اعتقاده أن الوطن مكسب جماعي لا تستأثر به فئة دون أخرى بداعي الأولية أو الخيرية ، ويصرح بذلك في قصيدة"عين الحب".

مفهوم الشاعر للوطنية ينبع من إحساسه بهموم البلد وأزماته وأتراحه قبل أفراحه. فنجده يتحدث في قصيدة"المحزونة"، عن العشرية السوداء وكيف فعلت الفتنة بين الإخوة وأبناء الوطن الواحد.

3- أنموذج من قصائد البرمكي الوطنية:

اخترنا قصيدة"**حتى لا ننسى**" لمعاينة الصور الوطنية التي بثها الشاعر في إبداعاته.

أ- العنوان:

إن تعمد استعمال الشاعر حرف النفي "لا" في العنوان يدل معنويا على القناعة الوطنية الراسخة في فكر الشاعر. ولفظ "ننسى" بالجمع، يدل على ارتباطه بالذاكرة الجمعية للجزائريين وتاريخهم. فالشاعر يقرر في دلالة العنوان، الارتباط بالماضي والتاريخ من أجل بناء المستقبل. فلا يمكن لأي وطن أن يبنى على المجهول، والعنوان يدل على إشارة الشاعر للمتلقي لخطورة الرسالة المبلغة عبر القصيدة، فهو إخطار للوظيفة الانتباهية عبر العنوان.

ب- المضمون: قسم الشاعر قصيدة إلى عدة أقسام ضمت الأفكار الرئيسة التي ثبت عليها موضوعه، وهي كالآتي:

- **القسم الأول**: وبدأه الشاعر بالقسم واليمين المغلظة الصادقة عن عدم التنازل عن نسيان الماضي أو تجاوزه بدواعي الحضارة أو تبدل الأحوال أو المصالح كما يقول:

واللهْ ما نَنْسى الماضي بالْحاضَرْ والماضي تاريخْ مَكْتوبْ مْسَطَّرْ[51]

فيقر الشاعر أن الماضي لا ينسى بالنعمة أو التقادم، كما أن هذا الماضي مكتوب ومدون ومحفوظ في الأذهان والقلوب والشواهد الطبيعية أيضا في قوله:

ماضينا موحالْ يَنْساهْ الخاطَرْ ماضينا مَحْفوزْ فالرّاسْ ولَحْجَرْ[52]

- **القسم الثاني**: فصل فيه الشاعر عرضا صوريا للمآسي التي مرت على الشعب الجزائري، وصور الحالة النفسية والاجتماعية المزرية لمعاناته تحت قهر الاستعمار والاستغلال فيقول:

داكْ الماضي كانْ ياوَلْدي قاهَرْ قاهَرْ ناسْ ضْعافْ جيّاعْ وْقُصَّرْ[53]

فحالة القهر التي صورها الشاعر لا تقتصر على الجوع فقط، وإنما تنسحب على مجمل مناحي الحياة كالثقافة والمستوى العلمي والديني والنفسي والاجتماعي وغيرها.

- **القسم الثالث**: يتحدث فيه الشاعر عن أحداث 08 ماي 1945م، وكيف قابلت فرنسا الجزائريين المطالبين بالحرية، بالنار والتقتيل؛ فيقول:

يومْ ثْمانيةْ ماي يَحْسابْ انْتَصَرْ يومْ ثْمانيةْ مايْ يَحْسابْ تْحَرَّرْ

خَرْجَتْ ليهْ فْرَنْسا بالْعَسَاكِرْ قَتْلَتْ بالآلافْ رِجالْ وْمَصْغَرْ[54]

- القسم الرابع: يتحدث فيه الشاعر عن ثورة نوفمبر فيقول:

في ثَورةْ مازالْ بيها نَفْتَخَرْ ثَورةْ للتّاريخْ بالنّيفْ تْنَذْكَرْ[55]

مختتما قصيدته بالنتيجة الطبيعية للقتال من أجل الوطن وهي الحرية والانعتاق من ربقة الذل كما يقول الشاعر:

وما نيلُ المَطالِبِ بالتَّمَنّي ولكنْ تُؤخَذُ الدنيا غِلابا

ج- **الموسيقى**:

يتحرى الشاعر في جل قصائده ميزان "**المبيت**" الذي تتميز به أكثر إبداعات الشعراء الشعبيين الجزائريين. لكنه يعتمد خلاف القافيتين، قافية واحدة في الشطرين، وهي حرف "**الراء**"، فيقول:

واللهْ ما نَنْسى الماضي بالْحاضَرْ والماضي تاريخْ مَكْتوبْ مْسَطَّرْ

والمعروف أن حرف الراء حرف واسع التناول، لكثرة ألفاظه، فيسهل على الشاعر الإسهاب في قصيدته لكونه غزير الألفاظ والمعاني، إضافة إلى كونه أكثر اتساعا لألفاظ المآسي والقتال والصور الدرامية الأخاذة بألباب السامع والقارئ، فتؤدي رسالتها فيه وأكثر.

أما الموسيقى الداخلية فقد تجلت من خلال التكرار المتعمد للشاعر لبعض الألفاظ حتى يثير المستمع ويجلب انتباهه لضرورة العودة إلى الماضي والاتعاظ من أحداثه ، مثل لفظ"الماضي" الذي أعاده الشاعر أكثر من 19 مرة، دون أن يشعرك اللفظ بالملل؛ كونه لفظا مرتبطا بالمشاعر أكثر من ارتباطه بالشكل. واعتمد الشاعر أيضا على حروف الصفير بكثرة مثل الصاد والسين في قوله:

يْقَرَّرْ مَصيرْنا ليهْ يْصادَرْ وْمالناشْ فْحَقْنا سَرْ ولا جَهْرْ[56]

فالحرفين أحدثا جلجلة وجرسا موسيقيا ومعنويا أدى أكثر من دور في القصيدة.

د- **الصور الشعرية:**

أكثر الشاعر من استعمال الصور البيانية مثل الكناية في قوله:

ماضينا مَحْفورْ فالرّاسْ ولَحْجَرْ[57]

داكْ الماضي الْقَلْبْ مَنّو يَتَّعْصَرْ[58]

شَرْبَتْ مَنّو أَرْضْنا نَبْتَتْ شْجَرْ[59]

غابْ الحقْ ولا تْلا وَجْهو ظاهَرْ[60]

فدل على ثبات الذاكرة كأنها نقش حفر بالرأس وجبال الجزائر، ودل على قسوة المشاهد باعتصار القلب وتأثره، ودل على كثرة الضحايا بارتواء الأرض من الدماء حتى أنبتت الشجر، ودل على الظلم بغياب وجه الحق. وكلها صور تبين مدى تأثر الشاعر بتاريخ الجزائر، وصدق وطنيته وإخلاصه.

كما اعتمد الشاعر على المحسنات البديعية لرسم لوحات أفكاره، مثل الطباق في قوله:

واللهْ ما نَنْسى الماضي بالْحاضَرْ

فالماضي والحاضر لفظين ضدين استعملا لشرح رسالة الشاعر الثابتة على قناعته الوطنية. وأيضا قوله:

ماضينا مَحْفورْ فالرّاسْ ولَحْجَرْ

فلفظي الرأس والحجر، طباق معنوي يدل على الحياة والجماد، منشأ فكرة ان تاريخ الجزائر سطره الإنسان والطبيعة.

كما اعتمد في بناء صوره التسجيل السينمائي، وكأن القصيدة سيناريو درامي لحدث وطني، فأكثر من مشاهد الحسرة والدم والمواجهة والبطولة؛ فكانت صوره حركية أكثر منها نفسية.

كما أن أسلوب الشاعر سهل ممتنع، اعتمد الألفاظ البسيطة في سرد موضوعه، والصور السهلة الفهم والتناول. كون الموضوع الوطني لا يحتاج إلى فلسفة أو غموض، أو ألفاظ معقدة، بقدر ما يحتاج إلى تراكيب توصل الرسالة بأقصر طريق، لأن الأمر جلل لا يحتاج إلى استعراض عضلات الشاعر اللغوية والفكرية. إنما يحتاج إلى جرأة الطرح وصراحة التوجه وصدق المشاعر، وهذا ما لمسناه عند الشاعر البرمكي من خلال قصيدته هاته.

خاتمـة:

من خلال هاتة الدراسة الموجزة حول موضوع الشعر الشعبي في الجنوب الغربي الجزائري، ومدى ارتباطه بالنزعة الوطنية إبان الاحتلال الفرنسي وبعده. وترجمة مقتضبة لمناحي الفهم الوطني عند الشاعر عبد الله البرمكي، نخرج بالنتائج التالية:

– الشعر الشعبي الجزائري على قلة تدوينه وبقاء جله على الطبيعة البدوية الشفوية، كان ترجمان الكفاح الجزائري ضد المحتل الفرنسي في المقاومة الشعبية وثورة التحرير الكبرى. خاصة في منطقة الجنوب الغربي، أين سجل شعراؤها المعارك والبطولات، مثل "الدغامشة" و"حاسي صاكة"و"مركالة"، بتوات وقورارة وتندوف.

– تنوع إبداع شعراء الجنوب في الشكل العام للقصائد. فقد تعددت الموازين الشعرية التي جمعت بين التراثي المحلي كالرباعي والسداسي في توات، والموازين المشهورة كمكسور الجناح والعشاري والبدوي وغيرها.

– لغة الشعر عموما في الجنوب تنحاز للتراثية أكثر منها للانفتاح، فقد تحتاج لثقافة ومعرفة مسبقة باللهجات الصحراوية لفك شفرة بعد الألفاظ المحلية.

– الشعر الشعبي في الجنوب الغربي عموما، يتميز بالبساطة المعنوية، فنادرا ما يتكلف الشعراء في المعاني أو يستعملون الألغاز أو الغموض في أعمالهم. فتجدها سهلة بسيطة، بساطة المتلقي المستهدف من هاته الأعمال.

– إن الاتجاه الوطني والتغني بأمجاد الجزائر والزود عن حياضها، جعل من شعر الشاعر عبد الله البرمكي أيقونة مسجلة في تيديكلت وتوات.فقد برع في تسجيل بعض معارك توات وشخصياتها. كما عبر عن رأيه الوطني بكل براعة أدبية، شأنه شأن العديد من شعراء منطقة توات والجنوب الغربي عامة.

– إن الوطنية في فكر الشاعر البرمكي ليست رأيا أو اتجاها، إنما هي منهج حياة يقوم عليها الاعتقاد الذي يكنه الفرد تجاه ربه ودينه وبلده. ومن خلال ديوانيه " صور من الواقع لى إيقاع المواجع" و" الفول المضنون في الشعر الملحون"، نرى أن ما يقارب 32 بالمائة من قصائده، أي 12 من أصل 37 قصيدة في الديوانين، صبغتها الشخصية الوطنية الحبلى بالمشاعر الصادقة النبيلة والغيورة على الجزائر.

– كما نرى أن جل قصائده الوطنية عنونت بمبدأ المحبة والعشق للبلد: " نشوة حب" ، "ثورة حب"، "فخامة الحب"... مما يدل على صدق مشاعر الشاعر البرمكي. إضافة إلى أسلوبه السهل الممتنع، ذو الألفاظ البسيطة المفهومة من عامة الجزائريين؛ وهي ميزة تدل على خبرة الشاعر ومدى اطلاعه على مزايا اللهجات الجزائرية.

ومما انماز به شعر البرمكي أسلوب التكرار غير المعيب في الشعر، خاصة لبعض الاصطلاحات التي ربما قصد إثارة الانتباه لها لأهميتها مثل " الجزائر"، "الوطن"، "ماضينا".

– غير أن الشاعر الوطني المعاصر من خلال سماعنا واطلاعنا على بعض الأعمال المتغنية بالوطن، يطغى عليها أسلوب الوصف الراكن لعصر الثورة والاستعمار. رغم أن الشاعر يعيش في الألفية الثالثة، إلا أنه يصف الحرب والتعذيب والقهر كأنه عاش أحداثها، ربما هاته المسألة تحيلنا إلى قضية الصدق في نقد هاته النصوص. فالأجدر بالشعراء – حسب رأيي الخاص– أن يبدعوا مفهوما أوسع للوطنية، بالاتجاه نحو البناء وحفظ العهد والتقدم، والدفاع عن الوطن، وإظهار المحاسن والنجاحات. وأن يخوض الشاعر حربه هو التي يكون فيها جنديا في الصف الأول المدافع عن حرمة الوطن ومبادئه ووحدته ورموزه وأبنائه.

هوامش:

[1] محمد المرزوقي. الأدب الشعبي. ط5. (1967م). الدار التونسية للنشر.(تونس). ص 51.

[2] عبدالله الركيبي .الشعر الديني الجزائري الحديث.(2009م).دار الكتاب العربي.(الجزائر). ج1. ص 361.

[3] ينظر. أحمد اباصافي جعفري .الحركة الأدبية في أقاليم توات – من القرن 7 حتى نهاية القرن 13هـ-.ط1. (2009م). منشورات الحضارة. (الجزائر). ج2. ص 24.

4 شاعر شعبي من الأبيض سيد الشيخ، رافق الشيخ بوعمامة في مقاومته، واستمر بعده إلى أن توفي عام 1905م. ينظر. بوعلام بسايح. أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير. (2007م). وزارة الثقافة الجزائرية. ص 47.

5 المرجع نفسه. ص 91.

6 شيخ وشاعر من أبرز أعلام تيدكلت وتوات، توفي 1914م. ينظر. مولاي التوهامي غيتاوي . لفت الأنظار لما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار.(2013م). العالمية للطباعة والخدمات. (الجزائر). ص 163.

7 شاعر شعبي فذ، ولد عام 1860م بإينغر بعين صالح. شارك في معركتي الدغامشة وإينغر بنفسه وشعره. مات مسموما من طرف المستعمر الفرنسي عام 1920م. يتظر.م. أساتذة. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. ط (2014م). منشورات الحضارة (الجزائر).ج1. ص 452.

8 الحاج سعيدان التومي.سكان تديكلت القدماء والاتكال على النفس. ط2.(2012م). العالمية للطباعة والخدمات.(الجزائر). ص151.

9 قائد تواتي قاد المقاومة في توات عام 1900م.ينظر. عبدالعزيز بن عبدالله. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية.(1975م).مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. (المغرب).ج4. ص 13.

10 مولاي التوهامي غيتاوي .لفت الأنظار. مرجع سابق. ص161.

11مناضل وشاعر من إينغر بعين صالح،ترك ديوان شعر وكتابين حول منطقة تيدكلت. ينظر. الحاج سعيدان التومي.سكان تديكلت القدماء. مرجع سابق. الغلاف.

12 المرجع نفسه. ص 169.

13شاعر وصاحب خزانة مخطوطات من تيمي أدرار، توفي 2004م. ينظر. أحمد باصافي جعفري .اللهجة التواتية الجزائرية.ط1. (2014م). منشورات الحضارة. (الجزائر). ص 641.

[14] هكذا وردت في البيت . وربما هو خطأ مطبعي، وربما يقصد بها ' قتلوه'.

[15] أحمد باصافي جعفري .اللهجة التواتية الجزائرية.مرجع سابق. ص 641.

16 لم نعثر على ترجمة له.

17 لم نعثر على ترجمة له.

[18] ينظر. مولاي مبارك عوبيدي الهبلاوي .قورارة وتوات وما احتوت عليه من الفقارة والساقيات. ت. عبدالله حمادي الإدريسي. ط1. (2019م).دار كوكب العلوم. (الجزائر).ص 71.

[19] لم نعثر على ترجمة له.

20 شاعر من أولف بتيدكلت، يعد من أعلام الشعر الملحون في المنطقة. ينظر. قدي عبدالمجيد. صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة. (د.ت.د.ط). ص 147.

21 شاعر من أولف بتديكلت، له العديد من القصائد في الوجدانيات والوطنيات. ينظر. المرجع نفسه.ص 169.

22 ينظر. الحاج سعيدان التومي. سكان تديكلت القدماء. مرجع سابق. ص 102.

[23] بركة بوشيبة . شعراء ذوي منيع الشعبيون.(2002م). المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. (الجزائر). ص 319.

24 شاعر من العبادلة من ولاية بشار، له العديد من المطولات في الثورة. ينظر. المرجع نفسه. ص 252.

25 المصدر السابق. ص 252.

27 لم نعثر على ترجمة له.

28 لم نعثر على ترجمة له.

29 لم نعثر على ترجمة له.

30 لم نعثر على ترجمة له.

[31] ينظر. مصطفى بن دهينة. قطوف من تاريخ تندوف.(2010م). المجلس الأعلى للغة العربية . (الجزائر). ص 57.

[32] لم نعثر على ترجمة له.

[33] الرجع نفسه. ص 56.

[34]مقابلة شفهية مع الشاعر عبدالله البرمكي يوم: 2021/11/23م، بمدينة أدرار على الساعة 15:20.

[35] عبدالله البرمكي .صور من الواقع على إيقاع المواجع.(2012م).دار مقامات االنشر والتوزيع. (الجزائر). ص19.

[36] المصدر نفسه. ص 19.

[37] المصدر نفسه .نفس الصفحة.

[38] المصدر نفسه. ص20.

[39] عبدالله البرمكي .القول المضنون في الشعر الملحون.ط1. (2020م). دار الكتاب العربي. (الجزائر). ص21.

40 المصدر نفسه. ص 21.

[41] المصدر نفسه. ص 23.

42 المصدر نفسه. ص 40.

[43] المصدر نفسه. ص 42.

[44] المصدر نفسه . ص 46.

[45] المصدر نفسه. نفس الصفحة.

[46] المصدر نفسه. ص 50.

[47] المصدر نفسه . نفس الصفحة.

[48] المصدر نفسه. ص 47.

[49] المصدر نفسه. نفس الصفحة.

50 المصدر نفسه. ص 52.

51. المصدر نفسه. ص23.

52المصدر نفس الصفحة.

53المصدر نفس الصفحة.

54المصدر نفسه.. ص 25.

55 المصدر نفسه.ص 26.

56 المصدر نفسه. ص 24.

57 المصدر نفسه.ص 23

58المصدر نفسه. نفس الصفحة.

59المصدر نفسه. نفسه.ص25

60المصدر نفسه. نفس الصفحة.

– المصادر والمراجع:

1- أحمد باصافي جعفري .الحركة الأدبية في أقاليم توات – من القرن 7 حتى نهاية القرن 13هـ-. ط1. (2009م). منشورات الحضارة. (الجزائر). ج2.

2- أحمد باصافي جعفري. اللهجة التواتية الجزائرية. ط1.(2014م). منشورات الحضارة. (الجزائر).

3- بركة بوشيبة. شعراء ذوي منيع الشعبيون.(2002م). المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. (الجزائر).

4- بوعلام بسايح .أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير.(2007م). وزارة الثقافة الجزائرية.

5- الحاج سعيدان التومي.سكان تديكلت القدذماء والاتكال على النفس. ط2. (2012م). العالمية للطباعة والخدمات.(الجزائر).

6- عبدالعزيز بن عبدالله. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية.(1975م).مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. (المغرب).ج4.

7- عبدالله البرمكي .صور من الواقع على إيقاع المواجع.(2012م).دار مقامات للنشر والتوزيع. (الجزائر).

8- عبدالله البرمكي .القول المضنون في الشعر الملحون.ط1. (2020م). دار الكتاب العربي. (الجزائر).

9- عبدالله الركيبي .الشعر الديني الجزائري الحديث.(2009م). دار الكتاب العربي.(الجزائر). ج1.

10- قدي عبدالمجيد. صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة. (د.ت.د.ط).

11- م. أساتذة. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. ط (2014م). منشورات الحضارة (الجزائر). ج1.

12- محمد المرزوقي. الأدب الشعبي. ط5.(1967م). الدار التونسية للنشر.(تونس).

13- مصطفى بن دهينة. قطوف من تاريخ تندوف.(2010م). المجلس الأعلى للغة العربية . (الجزائر).

14- مولاي التوهامي غيتاوي . لفت الأنظار لما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار.(2013م). العالمية للطباعة والخدمات. (الجزائر).

15- مولاي مبارك عوبيدي الهبلاوي .قورارة وتوات وما احتوت عليه من الفقارة والساقيات. ت. عبدالله حمادي الإدريسي. ط1 .(2019م).دار كوكب العلوم. (الجزائر).

- **المقابلات الشفهية:**

1 - مقابلة شفهية مع الشاعر عبد الله البرمكي يوم: 2021/11/23م، بمدينة أدرار على الساعة 15:20.